

الخطط العسكرية التي تواجه العالم العربي وكيف يتقيها

للمعيد طه باشا الراسمي

يجدر بنا قبل البحث في هذا الموضوع أن نحدد ، ونضع له إطارا لا يتعداه البحث لأن الموضوع الذي نعالجه يشبه إلى حد ما المواقف الحربية التي يعالجها رؤساء أركان الجيوش في وقت السلم لتقدير الخطة التي تسير عليها البلاد في حالة تعرضها لخطر الحرب . فالمعالجة وهي تقدير الموقف كما يعبر عنه عسكريا تساعد على وضع الخطة الحربية التي تجري بموجبها الحركات الحربية في زمن الحرب .

وكان المارشال مولتكه رئيس أركان الجيش البروسي في منتصف القرن الثامن عشر أول من انتبه إلى معالجة المواقف العسكرية ووضع الخطط الحربية في وقت السلم فافتدى به بعد ذلك رؤساء أركان الجيوش في الدول الأخرى ، وأخذوا يضمون الخطط الحربية في وقت السلم وبحورونها كلما اقتضى ذلك تبدل الموقف السياسي والوضع العسكري .

ونحن في معالجتنا الموضوع نريد أن نسلك إلى حد ما الطريقة المتبعة في وضع الخطط الحربية ويلوح لنا أننا نستطيع بذلك أن نحدد الموضوع .

الموقف السياسي :

لا ريب في أن العالم سائر إلى الحرب ، والحرب لا بد من نشوبها بين المجموعتين العالميتين أي المجموعة الروسية والمجموعة الأنجلوسكسونية ، أو بالأحرى روسيا ومن تبعها من الدول من جهة وأمريكا وإنجلترا من جهة أخرى .

ويلوح لنا أن من أهم أسباب التأزم العالمي الذي أخذ يشتد كثيرا هو فقدان التوازن السياسي أو بتعبير آخر فقدان وجود دولة عازلة تستطيع بانضمامها إلى أحد الفريقين المتنافسين أن توقف المنافسة وتحول دون نشوب الحرب . ولو كانت الحرب انتهت ببقاء ألمانيا محتفظة ببعض قواتها لما بلغت المنافسة بين الفريق الروسي والفريق الأنجلوسكسوني الحد الذي

نشاهده الآن ، لأن مجرد انضمام ألمانيا إلى أحد الفريقين كان يجعل الفريق الثاني يفكر كثيرا قبل الإقدام على الحرب . زد على ذلك أن خروج ألمانيا من الحرب محتفظة ببعض قواتها كان من غير شك يحول دون توسع نفوذ روسيا إلى وسط أوروبا وتغلغله بهذا الشكل المخيف . لا نريد أن نعلم من هو الحق في هذه المنافسة ... هل الفريق الروسى الذى يزعم أنه يريد أن ينقذ الشعوب المستضعفة من نير الاستعمار ؟ أو الفريق الأنجلوسكسونى الذى يدعى أنه يريد أن ينقذ العالم من أخطار الشيوعية ؟ وإذا ما صدق كلا الفريقين فى بعض دعاوئها فليس من شك أن فى ادعائهما نواحى لا يطمئن إليها البال ، فروسيا مثلا تزعم أن الفريق الأنجلوسكسونى يعد العدة لإقامة الحصار حولها ، ويسمى لتأليب دول العالم ضدها ، لهذا ليس فى كل ما تتخذه من تدابير سياسية فى شرق أوروبا سوى إبعاد خطر الحرب عن بلادها واتخاذ الحيلة للدفاع عنها عند الحاجة ، على حين أننا نرى الفريق الأنجلوسكسونى يحذر العالم من السياسة الاعتدائية التى تسلكها روسيا ، ويرى فى امتداد نفوذها إلى وسط أوروبا خطرا على الحضارة الأوروبية . أما الذى يتتبع سير الحوادث فيرى أن روسيا فى مزاعمها تريد أن تخفى السبب الذى دفعها منذ قرون إلى التوسع والنزول إلى ضفاف الأبحر الحارة ، سواء فى الشرق الأوسط أو فى الشرق الأقصى . وهناك سبب آخر له خطورته فى الحرب والسلم وهو الاحتفاظ بمناجم الزيت من جهة والحصول على منابع أخرى من جهة ثانية . أما الفريق الثانى فيخفى وراء ادعاءاته الهدف الأسمى من منافسته لروسيا وهو الحيلولة دون نزول الأسطول الروسى إلى الأبحر الحارة من جهة وإبعاد روسيا عن منابع زيت البترول فى الشرق الأوسط من جهة أخرى . وثم سبب آخر يتجلى بالمذهب الاقتصادى الذى يدين به كل من الفريقين ، والواقع أن كلا من المذهبين لا يرى سلامته إلا بالقضاء على المذهب المنافس له . إذن فى مثل هذه المنافسة المتأصلة ، ولا سيما إذا كان الفريقان المتنافسان يتساويان فى القوى أو يكادان ، لابد من نشوب حرب بينهما . لهذا نعود فنقول إن الحرب لابد من وقوعها آجلا أو عاجلا .

دار الحرب :

نقصد بتميير دار الحرب البلاد التى تجرى فيها الحرب فى حالة نشوبها بين الفريق الروسى والفريق الأنجلوسكسونى ، والواقع أنه من الصعب تحديد دار الحرب فى حرب تقع بين روسيا وتوابعها وأنجلترا وأمريكا وتوابعهما بعد أن أصبحت القوات الجوية العامل الأول

في اكتساب النصر ، فليس من ريب في أن العالم بأجمعه سيصبح دارا للحرب في هذه الحرب .
لقد قال تشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية الأسبق قبل نشوب الحرب الأخيرة إن نهر
الرين حدود إنجلترا . أما الآن ففي استطاعة المستر آتلي أن يقول إن اليونان والعراق حدود
بريطانيا ، أما ترومان فبوسعه أن يقول إن بلاد الصين حدود أمريكا . ومع ذلك ما دامت
الحرب لا تنتهي إلا باشتراك القوات الأرضية فلا بد إذن من تحديد دار الحرب في حالة اندلاع
لهيب الحرب .

والحقيقة أنه على الرغم من عدم وجود حدود مشتركة بين روسيا وأمريكا فإن القوات
الروسية والقوات الأنجلوسكسونية ستقف وجها لوجه في الحرب التي ستنشعب ، ذلك لأن
الجيش الأنجلوسكسونية من جهة والجيش الروسية من جهة أخرى ما تزال تحتل ألمانيا ،
فضلا عن أن إنجلترا حليفة لتركيا واليونان ، وأن لإنجلترا بموجب المعاهدات مع بعض الدول
العربية قواعد عسكرية في الشرق الأدنى وما تزال قواتها تحتل قناة السويس ، وهي بحكم
الحلف والمعاهدات ستسرع إلى نجدة تركيا واليونان ، وستستخدم القواعد العسكرية في
العراق وشرق الأردن وقناة السويس ، أما أمريكا فاستنادا إلى حلفها مع إنجلترا سترسل
قواتها إلى تركيا واليونان وتستخدم قواتها العسكرية في بلاد العرب . إذن لا بد من احتلال
القوات الأنجلوسكسونية هذه القواعد العسكرية في حالة الحرب ، أما الأقطار العربية التي
لا يحق للقوات الأنجلوسكسونية أن تستفيد من مرافقها العسكرية في وقت السلم كسوريا
ولبنان فلا بد أن نجبر على الوقوف إلى جانب الفريق الأنجلوسكسوني شاءت أم أبت . ولكي
نفهم الأسباب التي تضطر الدول العربية إلى أن تصبح بلادها قاعدة للحركات العسكرية
ينبغي لنا أن نشير إلى الأهداف التي يتوخاها كل من الفريقين المتخاصمين .

أهداف الحرب :

أصبحت سياسة روسيا بعد الحرب سياسة ترمي إلى التوسع من جهة وبسط نفوذها
في البلاد المجاورة من جهة أخرى ، فقد شارفت روسيا ببلادها بلاد البaltic ، وامتلكت
نصف بولونيا ، واستولت على شرقي بروسيا ، واحتلت شمال كوريا ، واقتطعت من فنلندا
بعض مقاطعاتها ، وهذه الأعمال ضمنت روسيا بعض أهدافها في التوسع ، وبفرضها النظام
الشيوعي في رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وهنغاريا وبولندا قد بسطت نفوذها في شرقي أوروبا .
وبإخضاعها تشيكوسلوفاكيا على قبول النظام الشيوعي مدت يدها إلى وسط أوروبا ، وبمساعدها

الشيوعيين الصينيين في بلاد الصين بسطت سلطانها في شمال الصين . هكذا أنجزت روسيا أهدافها في بسط نفوذها على البلاد المجاورة لها ، وما تزال ترى إلى اقتطاع الولايات التركية المتاخمة لبلاد القفقاس ، وتأسيس قواعد عسكرية في المضائق التركية ، وتريد أن تبسط نفوذها في إيالة أذربيجان الإيرانية ، فروسيا يسيرها على هذه السياسة التوسعية تريد في الوقت ذاته إبعاد مصائب الحرب عن بلادها والوصول إلى أهدافها ، ولقد استطاعت أن تبعد بلادها عن مصائب الحرب ببسط نفوذها على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، واستيلائها على نصف ألمانيا وبذلك جعلت المطارات التي ترسل الطائرات القاصفة إلى بلادها بعيدة عن حدودها . بيد أن أنحياز تركيا واليونان إلى جانب إنجلترا واحتلال القوات البريطانية للقواعد العسكرية في العراق وشرق الأردن عرض منابع البترول في بلاد القفقاس للخطر وقرب مصائب الحرب من بلادها .

لهذا تستهدف روسيا في عملياتها الحربية الصمود في وجه الزحف الأنجلوسكسوني في وسط أوروبا من جهة والهجوم على بلاد تركيا وبلاد إيران من جهة أخرى . وإذا ما نجحت روسيا في حركاتها الهجومية هذه تكون قد توصلت إلى أهدافها الحربية بامتلاكها المضائق التركية والنزول إلى شواطئ البحر المتوسط .

أما الفريق الأنجلوسكسوني فينبغي له ، لكي يمنع روسيا من تحقيق أهدافها الآتية الذكر أن يسرع إلى نجدة تركيا واليونان ، ورغم إيران على فتح حدودها للجيش البريطاني والأمريكي لكي تحول دون توغل روسيا في بلاد إيران ، وفي كلتا الحالتين أي في حالة الإصرار إلى نجدة تركيا وفي حالة دخول الجيوش في بلاد إيران لا بد أن تصبح البلاد العربية قاعدة لحركات الجيوش الأنجلوسكسونية ، لأن الجيوش المذكورة ستنزّل إلى ميناء حيفا وتعمر بالأردن والعراق للذهاب إلى إيران ، كما أن الجيوش التي تسارع إلى نجدة تركيا ينزل بعضها إلى بيروت وطرابلس الشام وعمر بلبنان وسوريا . وهكذا يتضح لنا أن البلاد العربية ستجرف إلى الحرب بمرور الجيوش البريطانية من شرق الأردن والعراق ، واستخدامها للقواعد العسكرية فيهما بحكم المعاهدات ، واتخاذ لبنان وسوريا قاعدة لحركاتها بالحجة والإقناع أو بالجبر والإكراه — زد على ذلك أن البلاد العربية ستصير قواعد صالحة للطيران ، إذ أن أسراب الطائرات ستنزّل إلى مطاراتها سواء في سوريا أو في العراق أو شرق الأردن ، وتحمل القنابل إلى بلاد روسيا ، كما أن سد الزحف الروسي في إيران يضطر القوات الأنجلوسكسونية إلى حشد القوات فيها . أما الجانب الروسي فيرى في إيران هدفاً حريياً ممتازاً فيستهدف مهاجمتها

لطرده القوات السكسونية منها والاستيلاء على منابع البترول الفنية فيها ، والبترول كما نعلم من أول العناصر في الحرب .

إذن لا مناص من أن يواجهه العالم العربي أخطار الحرب في المستقبل ، والغريب أنه يتعرض لأخطار لا ناقة له فيها ولا جمل . ومن المؤسف أن البلاد العربية بوضعها الراهن عاجزة عن أن تبعد عنها أخطار الحرب :

أولاً — لأن جيوشها ضعيفة من حيث التنظيم ، وليس لها معدات كافية ، وليس فيها مصانع ومعامل لتكوين الجيوش وهي مفتقرة في هذه الناحية إلى مساعدة الأجنبي ، وبلاد وضعها العسكري على هذا الشكل لن تستطيع المحافظة على حيادها . وقد استطاعت تركيا في الحرب الماضية أن تحافظ على حيادها لأن جيشها كان بدرجة من المانة ، مما جعل الفريقين المتحاربين يحترمان حيادها ، زد على ذلك أن الموقف العسكري العام كان يتطلب من الجانبين بقاء تركيا محايدة لتقتصر جهة الحركات ، والفضل في بقاء تركيا محايدة يعود في الدرجة الأولى إلى قوة جيشها ، لأنه لو كان ضعيفاً لا اكتسحتها قوات الحلفاء كما اكتسحت إيران ولهاجتها القوات الألمانية

ثانياً — ولو تيسر للبلاد العربية جيوش قوية واستطاعت أن تقومها بالصناعات الوطنية لما استطاعت أيضاً أن تبعد أخطار الحرب عنها ما دامت هي محرومة من خطة دفاعية مشتركة تنبثق من حلف عسكري يستند إلى سياسة خارجية موحدة ، فميثاق الجامعة العربية الحالي لم يحقق الوحدة لا في السياسة الخارجية ولا في الدفاع .

ثالثاً — وإذا تماقت البلاد العربية فيما بينها على سياسة خارجية موحدة وخطة دفاع مشتركة ، فلا تستطيع أيضاً أن تبعد أخطار الحرب عنها ما دام بعضها قد قدم قواعد عسكرية لأحد الفريقين المتنافسين في بلده ، لأن مجرد وجود هذه القواعد في أحد الأقطار العربية يعرض البلاد العربية الأخرى إلى أخطار الحرب ولا يبيل لأى بلد من البلاد العربية الأخرى أن يحتفظ بحياده والبلد المجاور له قد فتح أبوابه لمرور الجيوش المحاربة وقدم لها القواعد .

وأخيراً إذا تم للعرب الوحدة التي بنشدها ، وإذا تيسر لهم أن ينظموا جيشاً قوياً بعهده وعدده واستطاعوا أن يقوموا هذا الجيش بالصناعات الوطنية ، فإن مجرد بقاء جزء من أجزاء البلاد العربية خاضعاً لنفوذ أحد الفريقين المتخاصمين باسم حلف أو وصاية أو حماية أو مساعدة أو دفاع مشترك . . . أو بما شئت من أسماء اعتادت السياسة الحديثة أن تبتدعها فإن ذلك الجزء من البلاد العربية يسبب اندلاع لهيب الحرب في البلاد العربية أجمع .

كيف تنقذ العربية أخطار الحرب :

والذى يلوح لنا أنه لمن الصعب جداً لأى بلد من بلاد العالم أن يبقى محايداً فى حرب معاصرة تكاد تشترك فيها جميع الدول ؛ والذى نراه أن يكون للدولة من المناعة ما يساعدها على تجنب مصائب الحرب جهد الطاقة . والذى يسترعى الانتباه فى موقف الدول العربية أنها تكونت بعد الحرب العالمية الأولى بشكل جعل الأجنبي يصبح فيها المفتدب السيد ثم أمسى بعد ذلك الحليف الذى تخوله المعاهدة حق الاحتلال فى زمن السلم ولم يسبق قبل ذلك أن الحليف القوى يفتزع من حليفه الضعيف حق احتلال بلده فى السلم ، فهذا التحالف الشاذ الذى يربط دولة صغيرة بدولة كبرى ويجرها إلى حرب ضروس ، هو الذى يعرض الدول العربية لأخطار حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل .

فتركيا دولة لا يتجاوز نفوسها العشرين مليوناً وهى مجاورة لأعظم دولة ما برحت تختلف الحجة للاعتداء عليها ، ومع ذلك استطاعت بقوة جيشها أن تجمل حلفاءها يحترمونها ولا يقيدونهم بقيود الاحتلال فى وقت السلم ، مع أنها معرضة للخطر المباشر ، وهى أحوج إلى معاضدتهم لتقف أمام خصمها الجبار ؛ إلا أن مناعتها وقتها شر ذلك . فمن الغريب أن تختلف الدول الغربية الحجة لتبرير احتلال البلد الحليف فى وقت السلم ، بينما هى تعلم أن ضرورات الحرب تقضى بالاحتلال دون الانقياد إلى معاهدة . لقد هاجم البريطانيون والروس بلاد إيران واحتلوها فعلاً من غير أن يستندوا فى ذلك إلى معاهدة ، ذلك لأن ضرورات الحرب ساقهم إلى هذا الاعتداء الذى كان هدفه تأمين الاتصال بين الحلفاء وروسيا . لهذا فباستطاعة الدول المحاربة أن تملئ إرادتها على الدول الأخرى لتتجاز إليها فى زمن الحرب وتحتل بلادها حين تقضى ضرورات الحرب بذلك . وكان باستطاعة مصر أن تفقد نفسها من مصائب الحرب لو كان لها جيش قوى ، ولولم تكن مُحْتَلَّةً بإحدى الدول المحاربة ، وتحمى إيطاليا ليبيا . وبديهي أن ذلك لا يتم إلا إذا كانت البلاد العربية الأخرى مستقلة تمام الاستقلال ، بيد أن وجود القوات البريطانية فى مصر واحتلال الأجنبي للبلاد العربية الأخرى بحجة الوصاية ، وحماية إيطاليا لليبيا ، جرف مصر والبلاد العربية الأخرى إلى الحرب ، فأصابها ما أصابها وما زالت تعاني شر هذا المصاب .

وإذا أرادت البلاد العربية أن تنقذ أخطار الحرب فما عليها إلا أن تتخذ التدابير الآتية :

أولاً — تخلى بلادها من الاحتلال الأجنبي : وقد سبق أن أشرنا إلى أن احتلال الأجنبي

لبلد من البلاد العربية يجعلها هدفاً لأخطار الحرب ، إذ أن الأجنبي يجعل ذلك البلد قاعدة لحركاته ، وبذلك يعرضه إلى هجوم خصمه في وقت الحرب فتصبح البلاد العربية بأجمعها مساحة حرب .

ثانياً — توحيد السياسة الخارجية في البلاد العربية : ويكون من أهداف هذه السياسة عدم السماح لأية دولة عربية بأن تتعاقد مع الأجنبي دون موافقة الدول العربية الأخرى . وبهذا يتسنى للدول المذكورة أن تبعد نفوذ الأجنبي عن بلدانها فلا تفسح له المجال ليتعاقد مع إحداها بحجة الدفاع أو المساعدة أو غير ذلك .

ثالثاً — وضع خطة دفاع مشتركة للجيوش العربية : إن توحيد خطة الدفاع للجيوش البلاد العربية ينسق تنظيم جيوشها من جهة ، ويجعلها قادرة على الصمود للعدو في وقت الحرب من جهة أخرى ، وبذلك يتسنى لها أن تقف في وجه العدو . وإذا ما رأت أن قواتها لا تكفي للصمود ، فإنها حينئذ تتعاقد مع الحليف الطيب لها وتعاون معه للتغلب على العدو .

ليس من شك في أن التدابير الثلاثة الآتية الذكر إذا لم تق البلاد العربية من خطر حرب عالمية لا سبيل لأية دولة أن تبقى فيها محايدة ، فإن التدابير المذكورة تنقذها على الأقل من أضرار الاحتلال في وقت السلم .

وبديهي أن توحيد خطط الدفاع يتطلب من الدول العربية أن تسلك سياسة اقتصادية موحدة لتسد حاجات جيوشها في زمن الحرب ؛ لأن الجيوش مهما كانت قوية ، فإنها — إن لم تستطع أن تمون نفسها بالموثون الحربية من مصنوعات بلادها — تكون مضطرة إلى طلب المعونة من الأجنبي ، وقد تجرأ هذه المعونة إلى الحرب .

فلسطين ولبنان

ولو فرضنا أن البلاد العربية قضت على الاحتلال الأجنبي ووحدت سياستها الخارجية ، ووضعت خطة دفاع مشتركة بينها ، وقوت جيوشها بحيث أصبحت تصمد لكل هجوم وتجعل الدول تحترمها وتخطب ودها فإن هذا وحده لا يكفي لتصبح البلاد العربية بمنجى من الأخطار الحربية . مادام في فلسطين دولة يهودية . إن فلسطين النقطة الضعيفة في الجبهة العربية ، أو بتميز آخر ، الثغرة التي يستطيع المستعمر أن ينفذ منها إلى البلاد . وإن السماح بتأسيس دولة يهودية في فلسطين مهما صغر حجمها معناه تأسيس رأس جسر في بلاد العرب للمستعمر . وغنى عن البيان أن الدولة اليهودية لا يمكن أن تقوم إلا بمساعدة الأجنبي ، وإذا رفض

الأجنبي تأسيس علاقة معها فهي حتماً تغريه بالمسال ليكون حليفها أو وصيها أو حاميتها . وإذن ، ما دامت فكرة تأسيس دولة يهودية على ضفاف البحر المتوسط قائمة فلا بد أن تكون فلسطين ثمرة في الجبهة العربية . وقد تعقد هذه الدولة حلفاً مع الدول العربية ، وتعهد بالسير على سياستها الخارجية وتمتنع عن عقد أية معاهدة مع الأجنبي دون رضا الدول العربية . ولكنه لا يبعد أن تصبح البلاد العربية بين عشية وضحاها معرضة لأخطار الحرب لأن الدولة اليهودية فتحت موانئها للقوات الأجنبية . والواقع أن البلاد العربية كلها تخلصت من الاحتلال الأجنبي وقبضت على موانئها في ضفاف البحر المتوسط تكون قد أبعدت عنها خطر الحرب لأن البحر ذاته ، يُمدّد خط دفاع لها .

ونقطة الضعف الأخرى في الجبهة العربية هي ليبيا ، ولقد تعرضت مصر لأخطار الحرب لمجرد وجود قوات أجنبية في ليبيا بعد أن فرضت إيطاليا حمايتها عليها . لا شك في أن الأجنبي يحتل بلاد الغرب العربي ، غير أن هذه البلاد ما تزال أكثريتها الساحقة عربية ، ويتمتع بعضها بنظام حكم لا بد أن يوصلها إلى الاستقلال . أما ليبيا فنفسها قليلة وإذا ظلت محمية من قبل الأجنبي ، وظل باب الهجرة مفتوحاً في وجهه ، فلا بد أن يطغى عليها سيل الأجنبي فتصبح بلداً أجنبياً يعزل البلاد العربية بعضها عن بعض ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشرق العربي والغرب العربي فضلاً عن أن بقاء الأجنبي فيها يجر ويلات الحرب إلى البلاد العربية .

طه الرهاشمي